صحة نسبة تجهيل الإمام ابن حزم للإمام الترمذي
والتي حكاها عنه كثيرٌ من العلماء في كتبهم .. واستنكروها عليه !!

مشهور بن مرزوق الحرازي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد ..

فهذه وريقات قامت لتحرير إشكالٍ عَلِقَ في الأذهان عند الكثيرين ممن نقلوا حكايةَ تجهيل الإمام ابن حزم -رحمه الله- للإمام الترمذي -رحمه الله- ، قسمتها على فصول مقتضبة لتبيين ما يَخْلُصُ عنها ، واللهَ أسأل الإعانة والسداد والهداية والرشاد على ما يُصبى إليه ويُراد ، فأقول:

** (فصلٌ) في كلام أبرز العلماء الذين حكوا تجهيل الإمام ابن حزم -رحمه الله- للإمام الترمذي -رحمه الله- فيما وقفتُ عليه:

(أولاً) قول الإمام أبي الحسن علي ابن القطَّان ، ونصه:

((محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي ، وترمذ بخراسان ، جهله بعض من لم يبحث عنه ، وهو أبو محمد ابن حزم ، فقال في كتاب الفرائض من "الإيصال" إثر حديثٍ أورده ، إنه مجهول)).[1]

(ثانياً) قول الحافظ الذهبي ، ونصه:

((والعجب من أبي محمد بن حزم حيث يقول في أبي عيسى: "مجهول" ، قاله من كتاب "الإيصال")).[2]

(ثالثاً) قول الحافظ ابن كثير ، ونصه:

---

[1] **(?)** بيان الوهم والإيهام (5/637).

[2] **(?)** تاريخ الإسلام ، وفيات (261هـ-280هـ) ، ص461.

((وجهالة ابن حزم لأبي عيسى الترمذي لا تضره حيث قال في محلاه: "ومَنْ محمد بن عيسى ابن سورة؟" ، فإن جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ)). [3]

(رابعاً) قول الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام الترمذي ، ونصه:

((وأما أبو محمد بن حزم فإنه نادى على نفسه بعدم الاطلاع ، فقال في كتاب الفرائض من "الإيصال إلى فهم كتاب الخصال": محمد بن عيسى بن سَوْرة مجهول! ولا يقولنَّ قائلٌ لعله ما عرَفَ الترمذيّ ولا اطلع على حفظه وتصانيفه ، فإنّ هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خَلْقٍ من المشهورين من الثقات الحُفّاظ كأبي القاسم البغوي[4] ، وإسماعيل بن محمد بن الصفّار[5]، وأبي العباس الأصمّ[6] ، وغيرهم[7] ، والعَجَبُ أن الحافظ ابن الفَرَضي[8] ذكَرَهُ ـــ أي الإمام الترمذي ـــ في كتابه "المؤتلِف والمختلِف" ، ونبَّه على قدْرِه ، فكيف فات ابن حزم الوقوف عليه فيه !!)). [9]

** (فصلٌ) في التعقيب على أقوال الأئمة المنقول عنهم أعلاه ـ في نقاط ـ :

(أولاً) التعقيب على قولهم بأن الإمام ابن حزم قام بتجهيل الإمام الترمذي في كتابه الإيصال إثر حديثٍ أورده (وهو قول الإمام ابن القطان والحافظ الذهبي والحافظ ابن حجر) ، فأقول:

---

[3] **(?)** البداية والنهاية ، وفيات (11/67).
[4] **(?)** محدِّثُ العراق في عصره ، توفى سنة 317هـ.
[5] **(?)** توفى سنة 314هـ.
[6] **(?)** محمد بن يعقوب ، أخذ عنه أهل المشرق والمغرب ، توفى سنة 346هـ.
[7] **(?)** كالإمام ابن ماجه صاحب السنن مثلاً.
[8] **(?)** وهو قرطبيٌ من بلد ابن حزم ، توفى قبله سنة 403هـ.
[9] **(?)** تهذيب التهذيب (9/344)

ليس بين أيـدينا اليـوم كتـاب "الإيصـال" للتحقق من صـحة النســبة .. والعلاَّمة أحمد شــاكر رحمه الله يــذهب إلى أن الحافظ ابن حجر لم يقف على كتـاب الإيصـال أصـلاً ، حيث يقول: ((وأنا أظنُّ أن هذا تحامل شديد من الحافظ ابن حجر على ابن حـــــزم ، ولعله لم يعـــــرف الترمـــــذي ولا كتابه ، بل لعل الحافظ الذهبي أخطأ نظره حين نقل ما نقل عن كتـاب الإيصـال ، وما أظن ابن حجر رأى كتـاب الإيصـال ونقل منه ، وإنما أرجح أنه نقل من الــذهبي ، والله أعلم)). [10] ، قلتُ: زيــادةً على ذلك ، أن الحافظ ابن حجر لم ينقل عن كتاب الإيصال في ((فتح البـاري)) ألبتة ، إنما الـذي كـان يــورد عنه "المحلى" [11] ، وأيضــاً لم يــذكره في ((المعجم المفهـرس)) مما يعضُـدُ من أنه نقله عن الحافظ الـذهبي أو الإمام ابن القطان .

<u>وإن سلَّمنا بصحة ما نقلوه:</u> فقد يكون هـذا أول ما كَتب ، لأنه من المعلـوم أن "الإيصـال" كـان من أوائل كتبه ، فقد قام باختصاره[12] ، فلعله لم يعرفه أول الأمر ، ثم عرفه حين وقف على كتابه ، وهـذا الـذي ذكـرت يقع لكل من اشـتغل بالصـنعة الحديثية لا نسـتثني من ذلك أحـداً ، بل إمـام أئمة النقد يحيي بن معين رحمه الله كان ربما شَـهِدَ على الـراوي في أحايين شهادةً ثم غيَّرها بعد ذلك إن تبيَّن له خلافها.

بهذا التوجيه يُقال إذا لم نقف على تعريفه له في موضعٍ آخر من كتبه أو رسـائله .. فكيف وقد عرَّفه وأثـنى عليه فيٍ أحد رسـائله آخـرة العهد بقوله: ((وأما الحفظ فهو ضـبط ألفـاظ الأحاديث ، وتثقيف سوادها في الذكر ، والمعرفة بأسانيدها ، وهـذه صـفة حفـاظ الحـديث كالبخـاري ومسـلم والترمـذي والنسـائي وأبي داود وابن عقـدة[13] والــدارقطني والعقيلي

---

[10] **(?)** في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي (1/86).
[11] **(?)** كما في (معجم المصنفات الواردة في فتح الباري).
[12] **(?)** وكل هذا قبل كتابته للمُحلَّى .. الذي جاءته منيَّته ولم يتمه !!.
[13] **(?)** وفي المطبوعة "ابن عفرة" بالراء المهملة ، ولا شك أنه غلط ، والصواب المثبوت.

والحـاكم ونظـرائهم ، فهـؤلاء في هـذه الطريقة فـوق هـؤلاء المـذكورين إلا أحمد ، فإنه في الحفظ نظـير هـؤلاء ، وبالله تعالى التوفيق)). [14] فهـذا النقل قطـعٌ لكل من قـال بتجهيل الإمام ابن حـزم للإمـام الترمـذي ، وليس بعد ذلك إلا النقمة وحط الأقدار.

(ثانياً) التعقيب على قـولهم بـأن الإمـام ابن حـزم قـام بتجهيل الإمـام الترمـذي في كتابه "المُحلّى" (وهو قول الحافظ ابن كثير) ، فأقول:

لعل الحافظ رحمه الله وَهِمَ في ذلك والله أعلم ، وعليه فقد تبعه على ذلك عـــدٌ من النقلة .. فمن المعاصـــرين فضـيلة الشـيخ سـعد الحميِّد -حفظه اللـه- حيث قـال: (لكننا نعجب من ابن حزم حينما نص على أن الترمذي مجهول في كتابه المحلى وفي غيره أيضاً من كتبه). [15]

والصحيح أن الإمـام الترمـذي لم يُـذكر في "المُحلَّى" إلا في موضعٍ واحد ولم يُتعرض له بتجهيلٍ ولا بغيره ، وهاكَه بتمامه: قـال -رحمه اللـه-: ((وموَّه بعضـهم بـان قـال: قد روى عن رسول الله أنه قـال: أفـرض أمته زيد بن ثـابت قلنـا: هـذه رواية لا تصح إنما جاءت إما مرسـلة وإما مما حـدثنا به أحمد ابن عمر بن أنس العذري قـال: نا على بن مكي بن عيسـون المرادى وأبو الوفا عبد السلام بن محمد بن على الشـيرازي قال مكي: نا أحمد بن أبى عمـران الهـروي نا أبو حامد احمد ابن على بن حسـنويه المقـرى بنيسـابور نا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمـــذي نا ســـفيان ابن وكيع نا حميد بن عبد الـــرحمن عن داود بن عبد الـــرحمن العطـــار عن معمر عن قتادة عن أنس عن رسول الله فذكره وفيه وافرضـهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى بن كعب وقال أبو الوفـاء: أنا عبد الله

---

[14] **(?)** وذلك في "الرسالة الباهرة في الـرد على أهل الأقـوال الفاسـدة" (ص50)، وهنا أمانـةً نـورد تشكيك محقق الرسالة في إدخال الترمذي بينهم ، حيث يذهب أنه دسٌ من النساخ ، واحتج بما نقلـه عن الذهبي: (من أن السنن لم يدخل الأندلس في وقته) ، وسيأتي الرد عليه في صلب الوريقات في الجواب على سؤال الإلحاقة ، وأنه ليس بشيءٍ !!.

[15] **(?)** مصورة مذكرة مناهج المحدثين (ص37).

بن محمد بن احمد بن جعفر السقطي نا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار نا احمد بن محمد بن غـالب نا عبيد الله بن معـاذ العنـبري نا بشر ابن المفضل عن خالد الحـذاء عن أبى قلابة عن أنس عن النـبي فـذكره وفيه وأقـرؤهم أُبيّ وافرضهم زيد قـال إسـماعيل بن محمد الصـفار: ونا الحسن بن الفضل بن السـمج نا محمد بن أبي غـالب نا هشـيم عن الكـوثر عن نـافع عن ابن عمر عن النـبي فـذكره ، وفيه :و(أنَّ أقرأها لأُبيّ ، وأنَّ أفرضها لزيد ، وأنَّ أقضاها لعلي).
قال أبو محمد –وهو ذاته ابن حزم-: **هـذه أسـانيدٌ مظلمة لأن أحمد بن أبى عمـران وأبا حامد بن حسـنويه مجهـولان ، وإسـماعيل الصـفار مثلهم ، وأحمد بن محمد بن غالب إن كان غلام خليل فهو هالكٌ متهمٌ ، وإن كان غيره فهو مجهول ، والحسن بن الفضل ، ومحمد بن أبى غـالب ، والكـوثر مجهولـون** ثم لو صحَّت لما كـان لهم فيها حُجَّة ، لأنه لا يـوجب كونه أفرضـهم أن يقلِّد قوله كما لم يجب عندهم ما في هذه الأخبـار من أن أبيَّ بن كعب أقرؤهم وعلياً أقضاهم أن يقتصروا على قـراءة أبيٍّ دون سـائر القـراءات ولا على أقضـية عليٍّ دون أقضـية غـيره ، وهم يقرُّون أن الصـحابةَ خـالفوا زيـداً في هـذه المسألة))[16]

قلتُ: وهنا تلحظ أن سياق إيراد الروايات هنا: أنها في مقـام التعليل ، **ولو كـان يقـول بجهالة الترمـذي كما نُقِـلَ عنه لصرَّح بذلك هنا إمعاناً في إسـقاط الرواية وما تـردد !! ، فبه قد قـام اليقين أنه ذكـره في مقـام تعليلٍ ولم ينتقـده بشـيءٍ ، لا بتجهيـلٍ ولا بغـيره ، وليست هذه عادته -رحمه الله- !! ، وعليه .. فهـذه حجةٌ ثانيةٌ على عدم تجهيله له في آخره.**

** (إلحاقةٌ بسؤالٍ)

---

[16] **(?)** المُحلَّى (9/296و297) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.

- ما لدليل على أن ابن حزم اطلع على كتاب الترمذي ؟؟
يجب استحضـــار أن ما يـــذهب إليه الحافظ ابن حجر -رحمه اللـه- في كلامه في تهـذيب التهـذيب المنصـوص عليه أعلاه: أنَّ ابن حزم يعـرف الترمـذي معرفـةً تامـةً ، وقد اطلع على كتابه ، لكنه حكم بجهالته على سبيل التعنت!! ، ولا مانع من إعادة قوله هنا ، قال -رحمه الله-: ((ولا يقولنَّ قائـلٌ لعله ما عَـرَفَ الترمـذي ، ولا اطلع على حفظه ، ولا على تصـنيفه ، فإن هذا الرجل ـ يعني ابن حزم ـ قد أطلق هذه العبـارة في حقِّ خلقٍ من المشهورين من الثقات الحفاظ)).[17]
لكن الإمام ابن القطان والحافظ الذهبي يـذهبان إلى أن ابن حـزم لم يعـرف الترمـذي ، ولا رأى كتابه الجـامع ، فهما لم يذهبا إلى الجـزم بوقوعه عنـده ، بل نفـوا عنه ذلك بالكلية ، والـذي أراه القصد بينهمـا: بأنه لم يقع عنـده ابتـداءً فجهَّله ، ووقع عنـده فيما بعد فـأثنى عليه ، أو نقـول: اعـتراه السـهوَ والوَهْمَ حينها ، والله يعلم.

لماذا أقول ذلك ، بل وأقطع به؟؟
لأن من عادة الإمام ابن حزم -رحمه اللـه- إذا تـبيَّن له خلاف ما قـــال في راوٍ ، أو أشـــار عليه أحـــدٌ بخطئه لم يـــتردد في تصحيحه والعدول عما كان غلطاً ، فقد كان رحمه الله بحـــرا لا تكدِّره الدِّلاء ، وإنما بوسع الطاقة الـــــــــتي هي ليست بمعصومة أصالةً ، والتي تثبت البشـرية بوقوعها في الخطأ ، فمن ذا الـذي يسـلم !! ، **فهـذا** تلميـذه البـار الحميـدي من العـراق يخـبره بصـحة حـديث (نهى رسـول الله أن تغتسل المـــرأة بفضل الرجل ، وأن يغتسل الرجل بفضل المـــرأة ، وليغترفا معـــا) فقد ضعَّفه ابن حـــزم بـــداود بن يزيد الأودي وصوابه (داود بن عبد الله الأودي) ، فعَدَلَ وعدَّل.

---

[17] **(?)** تهذيب التهذيب (9/388).

وهو الذي يقول: ((وكذلك من جهلَه إنسـانٌ ، وعَـرَفَ عدالته آخر ، فالذي عندَه يقينُ عدالتِه هو المحق)) [18] ، فبـأي قـولٍ بعد ذلك يُحتجُّ به !!

هذا .. وإن هناك مقولة للحافظ الذهبي -رحمه اللـه- ، وهي: ((... أنَّ جامع الترمذي لم يـدخل بلاد الأنـدلس إلا بعد وفـاة ابن حزم)). [19] يجب التعقيب عليها.
فأقول: هـذا القـول فيه نظر !! ، فـإن جـامع الترمـذي من مرويات الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- ، قـرين ابن حـزم ورفيقه [20] ، وابن عبد الـبر يـروي الكتـاب عن شـيخه أبي زكريا يحـيى بن محمد الجيـاني[21] ، فـإذا تـذكرنا أن ابن عبد البر -رحمه الله-لم يخرج من بلاد الأندلس ، فمعـنى هـذا أن كتاب الترمذي قد أدخل الأنـدلس قبل وفـاة ابن حـزم بـأكثر من خمس وستين سنة ، فلماذا لا نقـول أن الكتـاب لعله لم يشتهر هناك إلا بعد وفاته !! ، والله تعالى أعلم.

** (إلماعـةٌ أخـيرةٌ): نبهـني بعض مشـايخي أنه قد يكـون مـدار الإشكال كلُّه: إلى وقوع التصـحيف في اسم الترمـذي في كلام ابن حزم !!
وإيضـاحه: أنه قد يكـون مُصـحَّفاً من: (محمد بن عيسى بن سورة) إلى: (محمد بن يعقوب بن سورة)[22]!!
فتـأملتُ وقلتُ: لا وجـهَ لـذلك ، فـإنَّ ابنِ حـزم قد قـام بتجهيل "محمد بن يعقـوب بن سـورة" أيضـاً !! ، وفي كلام الحافظ ابن حجر تصريحٌ بأنه جهَّلَه (أعني: ابن يعقـوب هـذا) عند ذكر عـددٍ ممن جهلهم ابن حـزم ، فما من إشـكالٍ يُـدارُ على تنبيههم.

---

[18] **(?)** النُّبَذ (ص58).
[19] **(?)** سير أعلام النبلاء (18/202).
[20] **(?)** كما في فهرست ابن خير (1/141) ، وفهرست ابن عطية (ص94) ، ولم يجل ابن حزم أحداً في زمنه كإجلاله ابن عبد البر !!.
[21] **(?)** أرَّخ وفاته ابن الفرضي في (تاريخ علماء الأندلس2/925): في سنة 390هـ.
[22] **(?)** وهو التميمي البغـدادي الثقة ، وثَّقه الـدارقطنى وغـيره ، وروى له الطـبراني وابن قـانع في معجمه ، في آخرين.

فـالراجح الـذي أذهبُ إليه وأجـزمُ بـه: ما حررتُه أعلاه ، من عدم صحة نسـبة هـذا القـول للإمـام ابن حـزم ، وإذا قلنا به تنزُّلاً على الأوَّليَّة ،فهاهو رحمه لم يجهِّله في آخر كتبه الـتي صــنَّفها (وهو المُحلَّى) ، بل ودونك ثنــاؤه عليه في رســالته (الباهرة) كما سَبَقَ إيرادُ كلامِه بتمام.

والله أعلم وأحكم .. ومنه نوال الخير المجمَّم
وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آل بيته وصحبه أجمعين[23]

---

[23] **(?)** قــال كاتبه -غفر الله له ورحمــه-: ((أنهيتُ تســويدةَ هــذا الزَّبْر شــروق شــمس الاثــنين (6/4/1428هـ) ، حامداً مصلياً مسلِّماً)).